سلسلة

فوائد من تفسير القرآن العظيم

[سورة الزخرف]

مستقاة من كتاب (تفسير القرآن الكريم)

للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

الناشر: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

جمع واختيار

منى الشمري

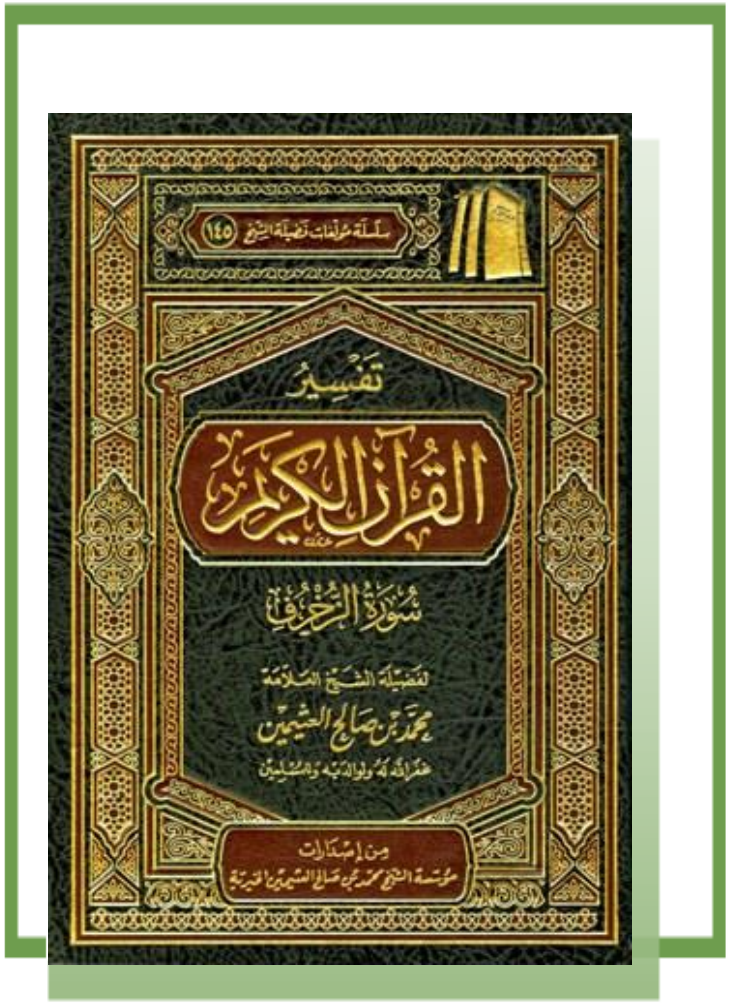

{حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)} [الزخرف: ١-٢]

- كيف أقسم الله بالقرآن مع أنه لا يجوز القسم بغير الله؟
- والجواب على هذا: أن القرآن صفة من صفات الله، لأنه كلام الله، والقسم يجوز بالله وبالصفة من صفاته، فزال الإشكال.
- الفائدة الثانية: بيان عظمة القرآن، لأن الله لا يقسم إلا بشيء عظيم

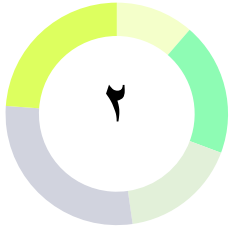

{حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)} [الزخرف: ١-٢]

- أن القرآن الكريم مبين لكل ما يحتاج إلى البيان؛ لقوله تعالى: {المبين}. ولكن هذا البيان ليس حاصلا لكل أحد، فمن الناس من يفهم من القرآن أشياء كثيرة، ومن الناس من هو دون ذلك، ومن الناس من لا يفهم شيئا؛ فالأقسام ثلاثة؛ فمن الناس من يفتح الله عليه فيفهم من الآية الواحدة عشرات المسائل، ومن الناس من هو دون ذلك، ومن الناس من لا يفهم شيئا.

- اعلم أنك كلما أمعنت وتعمقت في تدبر القرآن فتح الله لك من أبواب المعرفة ما لم يكن من قبل، وصرت تستنبط من الآية الواحدة من الأحكام ما لا يستنبطه غيرك، فاحرصوا على هذا التدبر.

- أن هذا القرآن الذي أعجز العرب من الحروف التي يركبون منها كلامهم ومع ذلك أعجزهم.

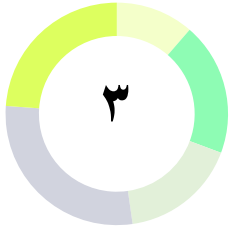

{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الزخرف: ٣]

- أن القرآن الكريم حادث؛ يعني: أنه بإرادة اللّٰه سبحانه وتعالى؛ لقوله تعالى: {إنا جعلناه قرآنا عربيا} واللّٰه قادر على أن يجعله بلغة أخرى لكن صيره باللغة العربية.

- ومعلوم أن العرب حادثون، فيكون ما نزل باللغة حادثا ، وهذا هو الحق؛ أن كلام اللّٰه سبحانه وتعالى حادث، بمعنى: أنه يتكلم متى شاء، ومتى شاء لا يتكلم، كما قال النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم -: "وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان"

- أن كون القرآن باللغة العربية منقبة كبرى للعرب: أن يكون القرآن العظيم نزل بلغتهم؛ لقوله: {إنا جعلناه قرآنا عربيا}.

{وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم} [الزخرف: ٤]

- عناية الله تبارك وتعالى بهذا القرآن، وهذا يدل على شرفه؛ حيث جعله عنده في أم الكتاب.

- الفائدة الثانية: أن القرآن عال بل علي، وهذا يدل على أن من تمسك بهذا القرآن فله العلو كقوله سبحانه وتعالى: {فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم} [محمد: ٣٥] فنقول: القرآن علي، ومن تمسك به فله العلو، وشاهد هذا الواقع؛ لما كانت الأمة الإسلامية متمسكة بالإسلام كان في العلو والظهور، وملكت به مشارق الأرض ومغاربها، ولما تقاعست وتخاذلت وتنازعت وتباغضت صار الأمر بالعكس، صار لها الذل، فالآن أمة العرب يدعون اليهود إلى السلم، ويكررون ذلك، ويمدون أيديهم إلى دول النصارى لتساعدهم على السلم؛ لأننا لم نتمسك بالقرآن

- أن من جادل بالقرآن فهو غالب؛ لأن الذي له العلو هو القرآن

{أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين} [الزخرف: ٥]

- أن اللّه لم يترك عباده هملا، بل بين لهم الحق، ودعاهم إليه، وخوفهم من مخالفته فلم يبق لأحد عذر.
- أن أحكام اللّه عز وجل معللة بعلل مناسبة للحكم، وهذا من مقتضى حكمته؛ ألا تجد حكما إلا وله حكمة
- أن الإنسان معذور بالجهل إذا لم تبلغه الرسالة، وهذا له أدلة:
منها: قوله تعالى: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} [الإسراء: ١٥].

ومنها: قوله تعالى: {وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون} [القصص: ٥٩]، والأدلة على هذا كثيرة.

فوائد مستنبطة من تفسير سورة الزخرف

{وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون} [الزخرف: ٧]

- أن اللّٰه تعالى أقام الحجة على جميع الخلق، ويؤيد هذا قوله: {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} [فاطر: ٢٤].
- أن الاستهزاء بالرسل تكذيب لهم وزيادة، لقوله عز وجل: {إلا كانوا به يستهزئون} واعلم أن الاستهزاء بالرسل كفر، والاستهزاء بالكتب كفر، والاستهزاء باللّٰه كفر، قال اللّٰه تبارك وتعالى: {ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أباللّٰه وآياته ورسوله كنتم تستهزئون (٦٥) لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} [التوبة: ٦٥ - ٦٦].
- انظر إلى رحمة اللّٰه عز وجل كيف يرسل الرسل وهو يعلم أن هؤلاء المدعوين سيقابلونهم بالاستهزاء، ولكن إقامة للحجة

فوائد مستنبطة من تفسير سورة الزخرف

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الزخرف: ١٠]

- نعمة الله عز وجل؛ حيث جعل لنا الأرض مهادا، ولو كانت صلبة ما استقررنا عليها، ولا حرثناها، ولا انتفعنا بها كثيرا، ولو كانت رخوة كذلك لم ننتفع بها، ولغاصت أقدامنا فيها، ولكن من نعمة الله أن جعلها كالمهاد.
- نعمة الله علينا بما جعل لنا من الطرق على تباعد أقطارها، ونستدل على الطرق بالشعاب والجبال، وكذلك بالنجوم.
- إثبات حكمة الله سبحانه وتعالى فيما يخلق في قوله: {لعلكم تهتدون} وحكمة الله عز وجل فيما يخلق وفيما يشرع ثابتة، لكن من الحكم ما نعلم، ومن الحكم ما لا نعلم؛ لقصور أفهامنا، ومن الحكم ما يعلمه كثير من الناس، وتخفى على كثيرين آخرين.

فوائد مستنبطة من تفسير سورة الزخرف

{والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون} [الزخرف: ١١]

- أن اللّٰه تعالى يحيي الأرض بعد موتها بهذا الماء.
- إطلاق لفظ (الموت) على ما لا روح فيه -أي: ما لا روح فيه تحس-؛ لقوله عز جل: {بلدة ميتا} وإن من المعلوم أن الأرض ليست كحياة الحيوان -حياة إحساس- بل هي حياة نمو.
- قياس المعقول على المحسوس، وإن شئت فقل: قياس الغائب على الحاضر، لقوله: {كذلك تخرجون}، فقد قاس الغائب -وهو إحياء الموتى- على الحاضر الذي تشاهدونه، وهذا من طرق التعليل والتفهيم.
- إثبات القياس، وأنه دليل، وهو دليل عقلي ثابت بالدليل السمعي؛ وذلك أن العقل ينتقل من المقيس عليه إلى المقيس، فهو دليل عقلي باعتبار كيفية الاستدلال به، ودليل سمعي لثبوته شرعا

{وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين} [الزخرف: ١٥]

- بيان عتو المشركين واليهود والنصارى، حيث جعلوا الذي {لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفوا أحد} [الإخلاص: ٣ - ٤] جعلوه والدا.

- أن الإنسان بطبيعته كفور مبين، هذا إذا جعلنا (الإنسان) للجنس، أما إذا جعلنا (الإنسان) يعود على الذي جعل من عباده جزءا ، فإنه يكون خاصا ، لكن المعنى الأول هو ظاهر قوله سبحانه وتعالى: {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (٧٢)} [الأحزاب: ٧٢] فأصل الإنسان الظلم والجهل إلا أن يمن الله عليه بالعلم والإيمان.

{أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين} [الزخرف: ١٨]

- قصور المرأة، وأنه لا يمكن أن تساوي الرجل في عقلها ودلها؛ لقوله: {أومن ينشأ في الحلية ... } إلى آخره.
- أن المرأة ليس لها هم إلا التجمل والعناية بمظهرها.
- أن المرأة ليست ذات خصام، بل هي ضعيفة لا تستطيع أن تخاصم ولا تبين ما في قلبها من الحجة، ولهذا لما تولت بنت كسرى على الفرس، وبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"

{وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون} [الزخرف: ٢٠]

- هؤلاء احتجوا بالقدر فقالوا: {لو شاء الرحمن ما عبدناهم}.
- بطلان الاحتجاج بالقدر؛ لقوله: {ما لهم بذلك من علم}.
- وقولهم: {لو شاء الرحمن ما عبدناهم} صحيح، لكن الاحتجاج به غير صحيح، لو شاء الرحمن ما عبدوهم كقوله: {ولو شاء اللّه ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا} [البقرة: ٢٥٣]، فهذا القول صحيح، لكن الاحتجاج به غير صحيح، وإنما قلنا: إنه صحيح، لأن اللّه تعالى يشاء كل شيء، كل شيء فهو واقع بمشيئة اللّه، لكن لا حجة بشيء لا تعلمه أنت، إذ إنك لا تعلم أن هذا مقدر عليك إلا إذا وقع، فالقدر سر مكتوم لا يعلم إلا إذا وقع المقدور.

{إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون} [الزخرف: ٢٣]

- اتفاق أهل الباطل على هدف واحد، ألا وهو تكذيب الرسل، واتباع آبائهم.

- تحريم التقليد بالباطل، وأما التقليد بالحق فلا بأس به، فإذا كان رجل لا يعرف حكم مسألة في دين الله، وليس عنده قدرة على الاجتهاد، فإن فرضه التقليد؛ لقول الله تعالى: {فاسألوا أهل الذكر} [النحل: ٤٣]؛ ولقول الله تعالى: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها} [البقرة: ٢٨٦]؛ ولقوله سبحانه وتعالى: {فاتقوا الله ما استطعتم} [التغابن: ١٦].
- وأما من حرم التقليد مطلقا فقوله باطل مخالف لظاهر القرآن، وأما من ألزم به مطلقا فقوله باطل مخالف لما يجب الإيمان به من اتباع الرسل.
- فالصواب: أن التقليد للضرورة جائز؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "التقليد بمنزلة أكل الميتة، إن اضطر إنسان إليه فهو جائز، وإلا فلا"

{وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون} [الزخرف: ٢٨]

- مزية عظيمة لإبراهيم عليه السلام: وهي إعلانه البراءة مما يعبد قومه {إنني براء مما تعبدون}.
- التوحيد الخالص في إبراهيم؛ لقوله سبحانه وتعالى: {إنني براء مما تعبدون (٢٦) إلا الذي فطرني} وهذا معنى قولي: (لا إله إلا الله). فـ {إنني براء} بإزاء (لا إله)، و {إلا الذي فطرني} بإزاء (إلا الله)، إذن هذ الكلمة {إنني براء مما تعبدون} بمعنى: لا إله إلا الله. تماما.
- أنه ينبغي للإنسان أن يقرن الحكم بالدليل؛ لأنه أبلغ، ذلك حين قال إبراهيم: {إلا الذي فطرني}.
- قوة الرجاء -أي: رجاء إبراهيم بالله عز وجل-؛ لقوله: {فإنه سيهدين} والسين هذ تدل على التحقيق.

{بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين} [الزخرف: ٢٩]

- بيان أن اللّه بيده كل شيء؛ إن شاء متع الناس وأبقاهم، وإن شاء أهلكهم، لقوله: {بل متعت هؤلاء} فالتمتيع عائد إليه وحده. وأفعال اللّه ليس لها حصر، فالذي متعهم اللّه عز وجل، وكل ما في الكون فهو من فعل اللّه فلا حصر له.

- أن اللّه عز وجل له الحكمة في إبقاء الكافر على وجه الأرض، وإلا لأهلكه، لكن له الحكمة، ومن الحكمة أن يأتي حق فيؤمن به، فيسعد في الدنيا والآخرة، ومن الحكمة في بقاء الكفار أن يكون في ذلك امتحان للمؤمنين مع هؤلاء الكفار، بجهاد الكفار، وظهور نعمة اللّه على المسلمين بالإسلام.

- أن ما جاء به النبي - صلى اللّه عليه وسلم - فهو حق، إن كان أخبارا فهي صدق، وإن كانت أحكاما فهي عدل، وليس فيما جاء به النبي - صلى اللّه عليه وسلم - باطل، كله حق.
- أن محمدا - صلى اللّه عليه وسلم - رسول اللّه حقا.

{نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا} [الزخرف: ٣٢]

- الحكمة في أن اللّه عز وجل جعل الناس على درجات؛ لقوله: {ليتخذ بعضهم بعضا سخريا}.
- الحكمة العظيمة في هذا -أي: في التفاوت- لأنه لولا هذا التفاوت ما عرف قدر نعمة اللّه على الغني بالغنى، وعلى العاقل بالعقل، وعلى القوي بالقوة، وهكذا، لولا الجنون ما عرف قدر قيمة العقل، ولولا المرض ما عرف قدر قيمة الصحة، إذن هذا من الحكمة.

- إثبات التعليل والحكمة لأفعال اللّه سبحانه وتعالى أي: أنه عز وجل يفعل لحكمة - لا بد أن يكون لحكمة - لقوله: {ليتخذ بعضهم بعضا سخريا} لأن اللام هنا للتعليل.
- وتعليل أحكام اللّه الكونية موجود بكثرة في القرآن، والأحكام الشرعية كالإيجاب والتحريم والإباحة معللة، فكل حكم من أحكام اللّه الكونية أو الشرعية لا بد له من حكمة.

{وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين} [الزخرف: ٣٥]

- أن هذ المتعة الدنيوية ما هي إلا متاع الحياة الدنيا فهي زائلة.
- ويتفرع على هذه الفائدة: أن لا يتعلق الإنسان بها، وأن لا يهتم بها، وأن يعلم أنه عائش بدونها وليس لك من الدنيا إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت.
- الفائدة الثانية: التزهيد في هذ الأمور، وأن لا تهتم بها، لا تعلق قلبك بمظاهر الدنيا، فإنك إن فعلت هلكت؛ ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا رأى من الدنيا ما يعجبه قال: "لبيك إن العيش عيش الآخرة"، لبيك يعني: إجابة لك؛

{ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين} [الزخرف: ٣٦]

- الحذر من قرناء السوء؛ لأن الشياطين ليس اسما خاصا لشياطين الجن، بل حتى الإنس لهم شياطين، قال اللّه -سبحانه وتعالى-: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن} [الأنعام: ١١٢]، وقال تعالى: {قل أعوذ برب الناس (١) ملك الناس (٢) إله الناس (٣) من شر الوسواس الخناس (٤) الذي يوسوس في صدور الناس (٥) من الجنة والناس (٦)}. [الناس: ١ - ٦].

- ففي هذا التحذير من قرناء السوء، وقد حذر النبي -صلى اللّه عليه من قرناء السوء؛ حيث شبه قرين السوء أو جليس السوء بنافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه رائحة كريهة ثم إن الواقع كذلك.

- فالمهم: أن الإنسان إذا أعرض عن ذكر اللّه قيض اللّه له الشيطان من الإنس أو من الجن، فهو له قرين.

{ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون} [الزخرف: ٣٩]

- أن المشتركين في عذاب الآخرة لا ينفعهم الاشتراك، بخلاف الاشتراك في العذاب في الدنيا فإنه يسلي الإنسان، ويهون عليه؛
- أن هؤلاء المعذبين هم الذين ظلموا ، وما ظلموا لقوله: {إذ ظلمتم}.
- أنهم -أي: المعذبين- يعرفون أنهم مشتركون في العذاب، ولكن ذلك لا يسليهم ولا يهون عنهم المصيبة.

{فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون} [الزخرف: ٤١]

- وصف الله تبارك وتعالى بالانتقام، كما وصفه في آيات أخرى.
- ولكن هل يوصف به على الإطلاق، فيقال مثلا: المنتقم؟
- فالجواب: لا، لأن كلمة المنتقم ليست مدحا في ذاتها حتى تقابل بما يكون سببا للانتقام؛ ولهذا تمر بنا أسماء الله الحسنى التي عدها بعض الناس منها المنتقم، وهذا غلط، فإن ذلك ليس من أسماء الله؛ لأن الله لم يذكر ذلك من أسمائه، وإنما ذكره مقيدا بحال من الأحوال؛ وهنا {فإنا منهم منتقمون} مقيد بحال من الأحوال، وهي تكذيب هؤلاء، وهو كقو له تعالى: {إنا من المجرمين منتقمون} [السجدة: ٢٢].

{فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم} [الزخرف: ٤٣]

- حث النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - على التمسك بما أوحي إليه، وإذا كان النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - يحث على ذلك فنحن من باب أولى.
- أن محمدا - صلى اللّٰه عليه وسلم - كان رسول اللّٰه حقا؛ لإثبات الوحي إليه.
- تثبيت النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - على الاستمساك بما أوحي إليه، وذلك بأنه على صراط مستقيم.
- أن الشريعة التي جاء بها محمد -عليه الصلاة والسلام- صراط مستقيم، لا اعوجاج فيه، ولا انحراف.

انتهى بحمد اللّٰه وفضله جمع بعض الفوائد
من تفسير سورة

(الزخرف)

نسأل اللّٰه تعالى أن يجعلها
نافعة لعباده مقربة لمرضاته
إنه وليّ ذلك والقادر عليه

تويتر
@fwayidd1